بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين. بمناسبة الغدير وإعلان ولاية أمير المؤمنين سلام الله عليه، أحاول أن أوضح الولاية، ولاية أمير المؤمنين (ع) وبعض أبعادها^(١).

هناك بعض المظاهر التي يلحظها الإنسان، مثلا نرى بعض الشباب يخلقون رؤوسهم بطريقة معينة أو يلبسون ملابس معينة، الإنسان حينما يرى ذلك يتعجب لم هذا الشاب يخلق شعره بهذه الطريقة أو يلبس هذه الملابس؟ فقد يراه شيئا غير صحيح فيتصدى ويحاول أن يغيره، قد ينجح في تغيير هذا الأمر في الظاهر، ولكن هل هذه المشكلة تزول بالمحاولة التي تنتج تغيرا ظاهريا؟ هذه المسألة لها جذور. هذا ذكرته لا لأن أركز عليه وإنما لأبين أن هذه التصرفات تعكس ولاية، تعكس توليا وتبريا، بمعنى أن هذا الشخص له أولياء، لكل إنسان في حياته وليّ ولكل إنسان في حياته أولياء أريد أن أشرح هذا.

حسب ما أنا متأكد منه لا عن طريق الاستقراء وإنما بطرق أخرى، هو أن لكل واحد منا ولي. تصرفاتي تجسد ولاية، تصرفاتك أنت كذلك تجسد هذه الولاية، تلك التصرفات الطبيعية التي تكون معها الرغبة والحب، قد يكون هنالك إنسان يصلي ويصوم لكن الصلاة لا تجسد الخط الأساسي في حياته، يعني إذا يصلي أو لا يصلي فطريقة حياته لا تتغير، شرائع حياته، اتجاهات حياته، أسس حياته لا تتغير. يحج ومن الممكن أن يكرر الحج كذلك، لكن الحج ليس داخلا في صميم حياته بحيث أنه لو لم يكن يحج لتغيرت اتجاهات حياته، هنالك في حياته توجد تصرفات وسلوكيات وهي التي تعكس ولاية الشخص بشكل طبيعي، تجسد توليه.

في كل خط في كل طريقة يوجد هنالك ولاية ويوجد هنالك أئمة هم الذين يقودون هذا الخط ويروجونه ويجسدونه، فالإنسان يسير على خطاهم من دون أن يقول هؤلاء أئمتي أو هؤلاء ولائي، لكن في الحقيقة هو اتخذهم أولياء، هذا باختصار وسوف أوضح.

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقر حفظه الله بتاريخ ٢٠ ذو الحجة ١٤١٣ الموافق ١١/٦/١٩٩٣، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة.

في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة التاسعة من الهجرة، أمر رسول الله (ص) بأن يبلغ ولاية أمير المؤمنين (ع)، فأمر بأن يجتمع الناس -القضية معروفة- وأعلن: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)^(٢)، ماذا تفهم من هذه العبارة؟

هؤلاء الذين كانوا مع رسول الله (ص)، رسول الله كان مولاهم أم لا؟ كان مولاهم يعني كانت له الولاية عليهم بأمر من الله تبارك وتعالى، يعني كان يجب على كل واحد منهم أن يطيعه، هذه الطاعة في الظاهر كانت موجودة، حتى المنافقين كانوا يطيعون في الظاهر رسول الله (ص)، فإذا كانوا متخذينه (ص) وليا حسب الظاهر لأن المجتمع كان مجتمعا يخضع لأوامر رسول الله (ص)، وإن حصل هناك خروجات ومعاصي، ولكنها ما كانت تشكل القاعدة، لرسول الله حق الطاعة يأمر ويجب أن يُطاع ينهى ويجب أن يُطاع، هؤلاء كلهم كانوا هكذا.

فلو كان معنى (فمن كنت مولاه): فمن كان يجب عليه أن يطيعني في الظاهر بمعنى أنه أيها الناس أليست طاعتي واجبة عليكم وعلى جميع الناس؟ لأنني أنا أرسلت للناس كافة، فعبارة (فهذا علي مولاه) لا تتناسب وليس لها مورد.

إذن يُفترض أن هنالك معنى آخر للعبارة لأنه لم يكن كل هؤلاء الموجودين موالين لرسول الله (ص)، كثيرون من المسلمين كانت لهم انتماءات خارج خط رسول الله (ص) وإن كانوا يطيعون رسول الله ويصلون ويصومون ويعملون الواجبات، فقسم كبير منهم ما كانوا يعقلون وما كانوا يفكرون، اتجاهاتهم كانت اتجاهات تختلف عن وجهة النبي (ص)، فالتصور الموجود في أذهانهم عن الدين لم يكن متبلورا واضحا بدرجة بحيث أن ينتج انتماء دينيا محمدا.

هنالك - كما قلت - أئمة هنالك ولايات، إما ولاية صالحة تصل في الأخير إلى ولاية الله تبارك وتعالى، أو ولاية ضالة تصل إلى ولاية الشيطان، فالإنسان من يتخذ وليا؟ هذا لا يُصنع بحيث أن يقول الشخص أنا أريد أن أتخذ أمير المؤمنين وليا أو أتخذ فلانا وليا، لا، ليس بهذا الشكل! كيفما تكونوا يولي عليكم.

(٢) بحار الأنوار (١٨٠/٣٧) نقلا عن كتاب الطوائف

ما هو دينك؟ دينك الحقيقي، ما هي اتجاهاتك؟ ما هي رغباتك؟ ماذا تحب؟ ماذا تبغض؟ كلما كانت المسائل أوضح في نفسك يظهر لك الإمام الذي تتولاه وفق هذه التصورات في نفسك، شئت أم أبيت هؤلاء أئمتك، راجع نفسك تجد هذا الشيء بوضوح.

رسول الله (ص) عاش مدة بين هؤلاء المسلمين، هؤلاء كان المفروض أن يعرفوا ولاية رسول الله (ص) لا فقط يأخذون منه الواجبات والمحرمات، فالآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...) (٣) (أَطِيعُوا اللَّهَ) وحدها لا تكفي بل (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)، فكان المفروض أن يعرفوا ولاية رسول الله (ص)، ما هو اتجاه رسول الله (ص)؟ ما هو المسار الذي كان يُريد أن يسوق إليه العالم بأسره، لا فقط هؤلاء المسلمين، العالم الذي كان رسول الله يُريد أن يصنعه وبينه، أي عالم كان؟ كثيرون من الناس ما كانوا يفكرون، كانوا يتصورون بأن الصلاة والصيام تكفي، كانوا يعيشون الحياة وكانت لهم اتجاهات أخرى، قلة من الناس من كانوا يعيشون ولاية رسول الله (ص) بمعرفة.

مثلا هذه الرواية التي ذكرتها كثيرا وكثير تُذكر لكن من دون أن يُحدد موقعها لتتحول إلى معرفة، شخص يقول في تلك الرواية لأمر المؤمنين (ع) حينما يتعجب أنه حينما يأكل ذلك الطعام الذي عليه نخالة الشعير ويشم حموضة اللبن، فأمر المؤمنين (ع) في تلك الرواية ماذا يجيب؟ لا يقول أن هذا أفضل، أو أنا أشتهي هكذا! فورا يقول (بأي من لم يشبع من خبز بُرِّ ثلاثا) (٤)، هذا ماذا يعني؟ يعني أن أمير المؤمنين (ع) يعيش سيرة رسول الله (ص) واتجاهاته بكل وجوده، وكذلك أبو ذر، وكذلك سلمان، وكذلك أناس آخرون وكانوا قلة، فعبارة (فمن كنت مولاه) تعني هؤلاء الذين كانوا يعرفون ولاية رسول الله (ص).

أما الذين ما كانوا يعرفون ولاية رسول الله (ص) حتى إذا قالوا نحن معك معك، نحن نواليك ونوالي عليا (ع)، نبكي عليه نبكي على ابنه الحسين، فهؤلاء أصلا لا يعرفون ولاية رسول الله (ص)، فهؤلاء هل يُتوقع أنهم يوالوا أمير المؤمنين (ع)؟! لا، يكذبون حينما يقولون نحن نوالي أمير المؤمنين، (فمن كنت مولاه) معناها: من كنت مولاه فعلي (ع) بشكل طبيعي يكون مولاه، لأنه (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) (٥)

(٣) (النساء: ٥٩)

(٤) بحار الأنوار: (٣٢٢/٦٣) نقلا عن كتاب إرشاد القلوب

(٥) (الأحزاب: ٤)

، راجع نفسك لا يوجد هنالك إمامان متضادان في داخل النفس، لا يوجد اتجاهان مختلفان في داخل النفس، وإنما اتجاه واحد، نحن نخادع أنفسنا حينما نتصور بأنه نستطيع أن نكون من شيعة أمير المؤمنين (ع) أو موالين لرسول الله (ص) ونعيش اتجاه أئمة الكفر. الإنسان الذي يتعقل بالتدريج يصل إلى أن الاتجاهات المختلفة تنحصر في اتجاهين فقط، اتجاه يمثل ولاية الأنبياء ودعوتهم وهي دعوة واحدة، واتجاه آخر كان الكفار هم الذين يقودون هذا الاتجاه.

فرعون كان عاليا في الأرض مسرفا، وكان قد استعبد بني إسرائيل، استعبدتهم بماذا؟ زين الحياة وزخرفها، طور الحياة، فلا توجد هنالك حياة متطورة مزخرفة إلا أن يوجد في هذه الحياة أناس بارزون، هل تفكر بأن الحياة من الممكن تكون متطورة مزخرفة متزينة وفي نفس الوقت لا يوجد هنالك أناس مزينون ومزخرفون ومطورون وفي نفس الوقت هؤلاء لا يتخذوا أئمة؟! لا يُخضع لهم؟! وأن هؤلاء لهم قيمة أكبر من غيرهم؟! راجع، هذه قضايا تجريبية الإنسان يجدها في نفسه، فالناس اتخذوا فرعون ربا لهم، كان هنالك آرباب غيره كذلك، في قصة يوسف (ع) (أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ)^(٦) هذا معناه أنه لم يكن هنالك رب واحد، دائما هكذا إذا هنالك رب أكبر هنالك يكون آرباب صغار في نفس الخط، إمام أكبر، أئمة صغار في نفس الخط.

فرعون استعبد وأخضع الآخرين، بدل أن يفكروا في الله وحده وأن الناس سواسية، كان يستغل كل إمكانياته الموجودة في ذلك الحين، كان هنالك كهنة يسندونه باسم الدين، وكانوا يروجون عظمة فرعون وعظمة وضعه، انظر إلى هذا التاج، انظر إلى هذا البيت، انظر إلى هذا الجمال، انظر إلى هذا الوضع، انظر إلى هذه الأنهار التي تجري من تحته، انظر إلى حياته الباذخة العظيمة. قارون كذلك كان ربا.

بُعث موسى (ع) ليحرر الإنسان وليحطم فرعون، فالمعجزة كانت في أن يغرق في البحر وتظهر جثته حتى الناس يرون ذلك الإنسان الذي اتخذوه وليا في قرارة أنفسهم، وحتى الإنسان الذي كان يعيش في الصحراء كان يعيش ولاية فرعون في داخل نفسه: يا ليت الحياة تصبح كحياة فرعون، يا ليت البيوت تصبح كبيوت فرعون يا ليت أن الناس يلتفون حوله كما يلتفون حول فرعون، وهكذا.

ربوبية فرعون في داخل النفوس تحطمت، فتحرر بنو إسرائيل وآمنوا بالله وكبروا الله وحده، تحطم كل شيء صغر كل شيء في نظرهم ففي تلك المرحلة لم يلهم شيء، الاتجاه أصبح اتجاها أخرويا، فالإنسان لم

(٦) (يوسف: ٣٩)

يُخلق عبثا كل شيء عند الله تعالى بمقدار، كل شيء فيه بحساب، وأن الإنسان سوف يموت سوف يحشر ويحاسب، بنو إسرائيل هكذا أصبحوا، لكن بعد ذلك وُجد انحراف، اليهود الذين فضلهم الله على العالمين -القرآن الكريم يصرح بذلك كثيرا- اختارهم وجعل فيهم أنبياء وجعلهم أسوة، بالتدريج ماذا أصبحوا؟ أصبحوا كفارا، كفار يعني تخلوا عن الله، اتجاهاتهم أصبحت اتجاهات كافره (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) (٧).

ثم بُعث عيسى بن مريم (ع) وكان يقول إنكم كفرتم، إن اتجاهاتكم اتجاهات كافره، إنكم اتخذتم من دون الله أربابا، اتخذتم أحباركم ورهبانكم أربابا من دون الله، لا يمكن أن يكون الإنسان عبدا لله إلا وأن لا تكون في داخل نفسه ولاية لغير الله أبدا، لا يتخذ وليا غير الله إلا في صراط الله بمقدار ما بينه الله وما أمر به، الآن تخضعون لكل شيء ولكل أحد! هؤلاء الأحرار والرهبان يسوقونكم إلى اتجاهات كافره يسوقونكم للمال وللدنيا.

بُعث عيسى (ع) ليحطم هذه الأصنام الجديدة التي نشأت، هذه أصنام ما كانت أصناما كما كانت في عهد فرعون، بل أصنام داخلية، أناس أُتخذوا آلهة وأربابا، فحطمهم ليكبر الإنسان الله وحده ليتحرر، لأن تكون الولاية لله وحده وللأنبياء وحدهم، فالحركة تكون في اتجاه الآخرة وهذه الدنيا تصبح متاعا لا تلهي الإنسان، ولا تتحول إلى وسيلة لتمايزات إنسانية تطرح -شئت أم أبيت- ربوية إنسان على إنسان.

فأمن به الحواريون وقالوا (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) (٨) وفعلا هكذا كان، ثم بعد ذلك بالتدريج التحريف أصاب ذلك الدين وحرفوا الكلم عن مواضعه ليصبح (الله أكبر) فقط في المسجد، فقط في الكنيسة يكبر الله، عليك بعض الحقوق المالية أدها ولا يهتمك في أي اتجاه تعيش، عش كما شئت، فأصبح الفرق بين النصارى واليهود فرقا بين مذاهب وطوائف فقط، نفس القلوب متشابهة، رغبات متشابهة، اتجاهات متشابهة، كل واحد منهم كان يريد أن يتمتع في هذه الدنيا أكثر من المشركين، أوليس كانوا يقولون نحن أولياء الله وأوداؤه؟ لو كنتم صادقين ماذا تفعلون؟ (فَتَمَتُّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٩).

(٧) (البينة: ١)

(٨) (الصف: ١٤)

(٩) (البقرة: ٩٤)

بُعث رسول الله (ص)، خاطبهم: أنتم كفرتم، هل هؤلاء كانوا يقبلون أنهم كفرة؟ لا، هؤلاء كان عندهم كنائس ويكبرون الله خصوصا اليهود كانوا محافظين، يقولون نحن نقرأ التوراة يوميا، ملتزمون كثيرا متمسكون برهباننا وبأحبارنا!

رسول الله (ص) خاطبهم: كفرتم، اتجاهكم أصبح اتجاه كفر، اتجاه عدم وجود الله، هم يقولون نحن نعترف بالله! لكن القلوب متشابهة فالإنسان المشرك لا يختلف عن اليهودي الذي يصلي كثيرا والنصراني الذي هو مثقف بثقافة هائلة، كل هؤلاء كانوا متشابهي التفكير ومتشابهي الاتجاه.

رسول الله (ص) صنع ذلك المجتمع الحر، العبادة لله وحده، تصور ذلك الإنسان الحافي الذي لجام فرسه من ليف، فرسول الله يبعثه برسالة الى كسرى بمدائه بإيوانه بجامعة العريقة (جندي شابور) التي تخرج أطباء، وبتاجه وبذهبه وبثقافته وبفنه وبجيشه وبحياته المزخرفة المتطورة، ليعتد إليه بهذه الرسالة (أسلم تسلم)، أنت كافر اتجاهك كفر، أوليائك كفر، وليك الشيطان، تخلى عن هذا الاتجاه، هكذا كان.

هنالك قليل من الناس من تدبروا وتفكروا وتعقلوا فعرفوا ولاية رسول الله (ص)، وتحولت هذه السيرة إلى رغبة وحب، فقد كان أمير المؤمنين (ع) يعيش سيرة رسول الله (ص) (فإن لم آخذ بما آخذ به رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن لا ألحق به)^(١٠)، كان يعيش بكل وجوده ولاية رسول الله (ص).

هذه الولاية هي تأتيك، هذا لا يحتاج أنه تقول: أوالي من؟ أنت غير نفسك فالولاية تأتيك، الولاية موجودة، أنت غير طريقك ففي الطريق سوف تلتقي بأمر المؤمنين (ع)، حتى إذا لا تعرف اسمه، أما إذا كان اتجاهك في غير اتجاه أمير المؤمنين، فهنالك أئمة كفر مبثوثون في الطريق، حتى إذا أنت ما تعترف بهم بأنهم أئمة لك وأنهم كفر لكن هذه الولاءات هي التي تتجسد في اليوم الآخرة.

فكر معي، رسول الله (ص) أعلن هذا (فمن كنت مولاه) يعني اعرف ولايتي، ولايتي ماذا كانت تعني؟ لو كنت في ذلك الحين ويخاطبك رسول الله (ص): أأست أولى بك من نفسك؟ حينما تراجع نفسك هل كنت تعرف سيرة رسول الله (ص)؟ وتعرف اتجاهاته إلى أين كان يقود العالم؟ وكيف كان يريد أن يصنع الحياة؟ (فمن كنت مولاه فعلي مولاه).

(١٠) (البقرة: ٩٤)

الآن نحن بين مناسبتين عظيمتين، ذكرى ولاية الحق ولاية أمير المؤمنين (ع) لأجل أن يستمر هذا المسار، لأجل هداية الإنسان، لأجل بيان طريق الإنسان وسوقه إليه، وذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع) مع أهله وأصحابه.

فكر، إن الله أعطاك كل إمكانيات التفكير، من هو وليك؟ لا تقل من أوالي؟ بل من هو وليك فعلاً؟ لا يمكن أن تغير الولاية وإنما ماذا عليك أن تفعل؟ أن تراجع الجذور، فإذا أمير المؤمنين (ع) لا يوجد في صميم حياتك يعني -والعياذ بالله- توجد ولاية أخرى مضادة لولاية أمير المؤمنين (ع) على الرغم من كل التصرفات التي تجسد تشييعك في الخارج، (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)^(١١).

فكر في هذه الأيام لكي تصبح إمامياً وتتولى أمير المؤمنين بالطريقة الطبيعية الصحيحة، لا بد أن تراجع جذور مبادئك، تصوراتك، اتجاهاتك، أين أنا من رسول الله (ص)؟ لتصبح شجرة طيبة فتثمر الولاية الطبيعية، كان الله معك أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث نفعاً، والحمد لله رب العالمين.

(١١) (مكارم الأخلاق: ص ١٨٢)